مجلة جامعة الملك سعود، م ٢١، العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية (٢)، ص ص ٢٤٥-٢٦٤ الرياض (١٤٣٠/١٤٣٠هـ)

تفسير سورة الفلق

لولوة بنت عبدالكريم المفلح

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد، كلية التربية للبنات – الأقسام الأدبية

الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٣/ ١/ ١٤٢٨هـ، وقبل للنشر في ٤/ ٤/ ١٤٢٨هـ)

ملخص البحث. هدفت الدراسة إلى تفسير سورة الفلق تفسيراً تحليلياً. و ذلك لعظم هذه السورة حيث إنها من السور التي جاءت السنة بفضلها. و هي مما يستشفى به كما صحت بذلك الأحاديث. و من الأذكار الشرعية التي تقرأ دبر كل صلاة. فهي حرز وحصن من كل شر. وفوق ذلك كله هي شافية بإذن الله من السحر كما حصل ذلك مع النبي - صلى الله عليه وسلم- حين أنحلت عقد السحر بقراءتها مع سورة الناس.

وقد أمرنا الله - عز وجل- فيها بالاستعاذة من كل مخلوق قام به الشر. ثم خص بعض أنواع الشرور كشر الغاسق إذا وقب. وشر النفاثات في العقد. وشر الحاسد إذا حسد. ومن هذا نتوصل إلى أن القرآن شفاء من الأمراض والأدواء البدنية والنفسية كما ذكر الله- عز وجل- ذلك في كتابه الكريم.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد.

فإن القرآن الكريم روح الأمة الإسلامية، ومشكاة حضارتها، أنزله الله على خاتم النبيين وإمام المرسلين – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – وتفسير كتاب الله عز وجل – من أشرف العلوم قال ابن عباس – رضي الله عنهما – " الذي يقرأ القرآن ولا يحسن

تفسيره كالأعرابي يهذ الشعر هذاً " (معترك الأقران ١ ، ١٠٠) وقال ابن جرير الطبري: " إني أعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يتلذذ بقراءته " (تفسير الطبري ١ ، ١).

وقد حث الله – عز وجل – على تدبر القرآن حيث قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد٢٤) وقال : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة ص٢٩) أي ليتدبروا حجج الله التي فيه وما شرع فيه من شرائعه فيتعظوا ويعملوا به (الطبري ١٠ ، ٥٧٦).

سبب اختيار هذا البحث

١- أن سورة الفلق من السور التي جاءت السنة بفضلها .

٢- أنها من السور التي يرقي ويستشفى بها كما صح ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم - .

٣- أنها حرز وحصن لمن قرأها .

٤- أنها من الأذكار الشرعية التي تقرأ دبر كل صلاة .

لذلك أحببت أن أساهم في تفسير هذه السورة وأجمع ما تيسر لي من تفسير آياتها من أمهات الكتب .

هذا وقد اشتملت الدراسة على : مقدمة وتفسير السورة وخاتمة : أما المقدمة : فقد ذكرت فيها سبب اختيار هذا البحث وما اشتملت عليه دراسة البحث . أما التفسير فقد فسرت السورة تفسيراً تحليلياً مفصلاً. وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة.

وهذا البحث كسائر الأعمال البشرية، يعتريه النقص والخطأ. ولكن حسبي أني بذلت فيه غاية ما أستطيع فإن وفقت فيه إلى الصواب فذلك من فضل الله وكرمه، وإن لم أوفق فيه إلى الصواب فأسأل الله أن يغفر لي . والله الهادي إلى سواء السبيل .

التمهيد

لقد جاءت الأحاديث بفضل سورة الفلق ومن ذلك ما رواه الترمذي . عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) " (١) ج ٢ ، ص ١٥٨) .

ولمسلم عن عقبة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألم تر آيات أنزلت الليلة، لم يُرَ مثلهن قط: أعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس " (٢) ج ١ ، ص ٥٥٨ ج (٨١٤) .

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث بالمعوذتين، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي" (٢) ج ٤ ، ١٧٢٣ ح ٢١٩٢ ، (٣) ج ٩ ص ٦٢ واللفظ لمسلم .

وعنها – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيها : (قل هو الله أحد) و(قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما أستطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات " (٣) ج٩، ص٦٢ ح ٥٠١٧ .

وثبت في الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره يهوديّ من يهود بني زُرَيْق يقال له لِبيدُ بن الأعْصم، حتى يخيلُ إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم قال: " يا عائشة أُشْعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه . أتاني ملكان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال: ما شأن الرجل؟ قال: مطْبوب. قال: ومن طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في ماذا؟ قال في مُشْطٍ ومُشاطة وجُفِّ طَلْعةٍ ذكَر، تحت راعوفة في بئر ذي أرْوان فجاء البئر واستخرجه. (٣) ج (٦) ص(٣٣٤) ح(٣٢٦٨)، (٢) ج(٧) ص(١٤) ح(٢١٨٩).

وقال ابن عباس: " أما شعرت يا عائشة أن الله تعالى أخبرني بدائي " ثم بعث علياً والزبير وعمار بن ياسر، فترحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة – صخرة تترك أسفل البئر يقوم عليها المائح، وأخرجوا الجُفّ. فإذا مشاطة رأس إنسان، وأسنان من مُشْط، وإذا أوتار معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العقد، وأمر أن يُتعوَّذ بهما، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة، حتى انحلت العقدة الآخيرة، فكأنما أُنشِط من عقال، وقام: ليس به بأس. وجعل جبريل يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: " بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسدٍ وعين، والله يشفيك " فقالوا : يا رسول الله، ألا نقتل الخبيث. فقال: " أمّا أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً . " (٣) ح ١٠ ص ٢٢١، ٢٣٥، ح ٥٧٦٣، ٥٧٦٦ .

مما سبق يتبين أن سورة الفلق من السور التي يتحرز بها من أعين الإنس والجان، وأنها مما يستشفى به من السحر وغيره من الأمراض الجسدية والنفسية .

تفسير سورة الفلق (قل أعوذ برب الفلق)

قل : الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويشمل الأمة حيث لا دليل على تخصيصه به .

أعوذ : ألتجأ واعتصم .

قال الجوهري : عذت بفلان واستعذت به، أي لجأت إليه وهو عياذي وملجئي، وقولهم معاذ الله، أي أعوذ بالله معاذاً، يجعله بدلاً من اللفظ بالفعل. (٤) ج٢، ص ٥٦٧ .

ويقال : عاذ فلان بربه إذا لجأ إليه واعتصم به (٥) ج ٣، ص ١٤٧، (٦) ج ٣س ٤٩٨ .

وقال البخاري – رحمه الله – الاستعاذة : هي الاعتصام بالله، (٧) ج ٣ ص ١٤٨ . وقال ابن عرفة وابن جرير – رحمها الله – هي الاستجارة، (٨) لوحه ٣، (٩) ح ١ ص ١١١ (١٠) .

ويقال طير عِياذ وعُوَّذ : عائذه بحبل وغيره مما يمنعها (٦) ح ٣ ص ٤٩٨ وقال المعافى بن إسماعيل: أعوذ : أستغيث واستجير وألجأ (١١) لوحه ٢٢ .

والإعاذة واللياذة بمعنى واحد، وهو الاستجارة بذي سلطان من مكروه (١٢) ص ٣٣ .

قال ابن القيم : – رحمه الله – معنى أعوذ: التجيء وأعتصم، وأتحرز، وفي أصله قولان: أحدهما : أنه مأخوذ من الستر والثاني : أنه مأخوذ من لزوم المجاورة . والاستعاذة تنتظمهما معاً. (١٣) ص٥٩ .

مما سبق نخلص إلى أن الاستعاذة هي " الاعتصام والاستجارة بالله – عز وجل – واللجوء إليه جل علاه. والاستعاذه بالله – عز وجل – مطلوبة من العبد " فمن امتثل أمر الله، واستعاذ به، فلا ريب أن هذه عبادة من أجل العبادات، بل هي من حقائق توحيد الألوهية (١٤) ص ١٧٦ .

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بيان أهمية الاستعاذة : إنه لاحيلة لك أيها العبد في دفع الشيطان إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأعراف : ٢٧) فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه، واعتصمت به، كان هذا سبباً في حضور القلب، فاعرف معنى هذه الكلمة، ولا تقلها باللسان فقط، كما عليه أكثر الناس . أ هـ (١٥) ص ٣٧ .

فالله – عز وجل – هو وحده القادر على دفع السوء والمكروه إذا لجأ إليه الإنسان واعتصم به فالاستعاذة بالله يعني بالمعبود الحق الذي ليس هنالك معبود سواه فالاستعاذة متضمنة معاني الربوبية لله – عز وجل – الذي نتوكل عليه ونعتصم به ونلجأ إليه فهو بيده ملكوت السموات والأرض . ولأهمية الاستعاذة فقد أمر بها مواطن كثيرة ومنها :

١- **الاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم**: كقوله – عز وجل - ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾: (سورة النحل ٩٨). قال ابن كثير رحمه الله :هذا أمر من الله – تعالى – لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم (١٦) ح ٢ ص ٥٨٥ .

٢- **الاستعاذة في الصلاة**: الاستعاذة في الصلاة سنة مؤكدة عند عامة العلماء (١٧) ح ١ ص ٥١٩، (١٨) ح ٢، ص ٥٣٦، (١٩) ح ١ ص ١٣) ما عدا مالكاً فلا يرى ذلك في المكتوبة (٢٠) ج ١ ص ١٢٥ ويراه في قيام الليل (٢١) ج ١ ص ٦٨ . ودليل ذلك ما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : (كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: الله أكبر كبيرا، ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزة، ونفخه، ونفثه (٢٢) ج ١ ص ٢٦٥ ح ٧٧٥ . قال الألباني : إسناده حسن (٢٣) ج ١ ص ٥٠ ح ٣٤١ . ولمسلم أن عثمان بن أبي العاص – رضي الله عنه – أتى النبي - صلى الله عليه وسلم – فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ذاك شيطان يقال له حزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، و اتفل على يسارك ثلاثاً " قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (٢) ج ١٤ ص١٩٠ .

٣- **الاستعاذة عند دخول المسجد**: وذلك لما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه-، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) (٢٢) ج ١ ص ١٨٠ ح ٤٤٦ ، قال الألباني : صحيح (٢٤) ج١ ص ٩٣ ح ٤٤١ .

٤- **الاستعاذة عند الغضب**: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (سورة الأعراف ٢٠٠) قال ابن حجر – رحمه الله – إن الغضب نوع من شر الشيطان ولهذا يخرج به عن صورته ويزين إفساد ماله كتقطيع ثوبه، وكسر آنيته، أو الإقدام على من أغضبه ونحو ذلك مما يتعاطاه من يخرج عن الاعتدال . أ . هـ . (٣) ج ١٠ ص ٤٨٢ . جاء في الصحيحين عن سليمان ابن صرد – رضي الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فأحدهما احمّر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد، فقالوا له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال وهل بي جنون) (٣) ج٢ ص٢٢٢، (٢) ج ٤ ص ٢٠١٥ ح ٢٦١٠ واللفظ للبخاري. " في الحديث دليل على أن الغضب متسبب من عمل الشيطان ولهذا كانت الاستعاذة مذهبة للغضب (٢٥) ص ٣١٣ .

٥- **الاستعاذة طرفي النهار**: ومما جاء في ذلك ما رواه أبو داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: قل (قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أنه لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه . قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك) (٢٢) ج ٢ ص ٧٣٧ ح ٥٠٦٧ ، (٢٦)

ج ٥ ص ٤٦٧ ح ٣٣٨٩ . قال الألباني : صحيح (٢٤) ج ٣ ص ٩٥٥ ح ٤٢٣٥ .

٦- **الاستعاذة عند دخول الخلاء:** لما ورد في ذلك . فعن أنس ابن مالك – رضي الله عنه – قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث) (٣) ج ١ ص٤٠، (٢) ج ١ ص ٢٨٣ ح ٣٧٥ . فيستحب التعوذ من الخبث والخبائث لمن دخل الخلاء (٢٦) ج ١ ص ٢٧، (٢٧) ج ٢ ص ٨٢ . وخص الخلاء بذلك، لأن الشياطين يحضرون الأخليه، وهي مواضع يهجر فيها ذكر الله، وقدم لها الاستعاذة احترازاً منهم (٢٨) ج ١ ص ٢٣٧.

٧- **الاستعاذة إذا خشي الإنسان قوماً:** ومما ورد في ذلك ما رواه أبو داود عن أبي بريدة بن عبدالله أن أباه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوماً قال : (اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم) (٢٢) ج ١ ص ٤٨٠ ح ١٥٣٧ إلى غير ذلك من المواضع التي يضيق المجال عن ذكرها .

برب: الرب هو اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا بالإضافة .

قال في اللسان: " الرب: هو الله – عز وجل – وهو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال الرب في غير الله، إلا بالإضافة: ويقال الرب، بالألف واللام، لغير الله، وقد قالوه في الجاهلية للملك ... ورب كل شيء : مالكه ومستحقه، وقيل صاحبه ويقال : فلان رب هذا الشيء أي ملكه له . وكل من ملك شيئاً فهو ربه . يقال هو رب الدابة ورب الدار، وفلان رب البيت ... والرب يطلق في اللغة على المالك والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم أ.هـ " (٦) ج ١ ص ٣٩٩ .

مما سبق يتبين لنا أن كلمة الرب تطلق على الله – عز وجل – حيث إنه :

١- مدبر الخلق ومربيهم وهو مشتق من التربية كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ﴾ (سورة النساء، ص٢٣) فتكون على ذلك كلمة الرب على هذا المعنى صفة فعل لله – عز وجل - .

٢- والرب بمعنى المالك والسيد كما في قوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ (صورة يوسف، ص٤٢) وفي الحديث (أن تلد الأمة ربها) (البخاري مع الفتح ج ١ ص ١٤١ . كتاب الإيمان . باب سؤال جبريل النبي – صلى الله عليه وسلم – ح ٥٠) فتكون على ذلك كلمة الرب صفة ذات لله – عز وجل - قال السعدي – رحمه الله – " وتربية الله تعال – لخلقه نوعان: عامة وخاصة: فالعامة: هي خلقه للمخلوقين ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا . والخاصة : تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه،

وحقيقتها : تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة . أ .هـ . (٢٩) ص ٣٩ .

الفلق: قال في اللسان: الفَلْقُ: الخلق. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ (سورة الأنعام، ص٩) وقال بعضهم : وفالق في معنى خالق وكذلك فَلَقَ الأرض بالنبات والسحاب بالمطر، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق، فالفلق جميع المخلوقات، وفَلَق الصبح من ذلك .

وانْفَلَقَ المكان به : انشق .. وفلق الله الفجر : أبداه وأوضحه . وقوله تعالى (فالق الإصباح) قال الزجاج: جائز أن يكون معناه خالق الإصباح وجائز أن يكون معناه شاق الإصباح وهو راجع إلى معنى خالق والفلق بالتحريك: ما انفلق من عمود الصبح، وقيل: هو الصبح بعينه، وقيل: هو الفجر، وكل راجع إلى معنى الشق قال تعالى (قل أعوذ برب الفلق). قال الفراء: الفلق الصبح، يقال هو أبين من فلق الصبح وفرق الصبح وقال الزجاج : الفلق بيان الصبح . أ .هـ . (٦) ج١٠ ص ٣١٠ .

قال مجاهد: الفلق الصبح وكذا قال أبو عبيدة. (٣) ج ٨ ص ٧٤١ . مما سبق من أقوال العلماء يتبين لنا أن (الفلق) له معنيان:

١- أنه بمعنى الخلق.

٢- أنه بمعنى الصبح وهذا قول جمهور المفسرين " وخص الفلق بالذكر فيه إيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضاً أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه . وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج، فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظراً لطلوع الصباح، كذلك الخائف يكون مترقباً لطلوع صباح النجاح " (٣٠) ج ٥ ص ٥٢٠ .

فالاستعاذة الواردة في أول السورة تكون إذن برب الفلق الذي خلق الخلق وأظهر النور بعد الظلمة بحلول الصباح . فالاستعاذة لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له .

ثم بعد ذلك يأتي بيان الأمور التي ينبغي الاستعاذة منها كما جاءت في السورة الكريمة .

(من شر ما خلق)

(من شر) الشر : السوء .. وقوم أشرار ضد الأخيار . وقال ابن سيده : الشر ضد الخير وجمعه شرور . وفي حديث الدعاء (والخير كله بيدك، والشر ليس إليك) (رواه أبو داود رقم ٧٦٠ . الترمذي رقم ٣٤٢٢ . النسائي ٨٩٦) (٦) ج ٤ ص ٤٠٠ .

فالاستعاذة هنا عامة في جميع ما خلق الله – تعالى – (ما) فيها عموم لكن لا يراد به الإطلاق إنما عموم مقيد. فمن اتصف بالشر انسحب على ذلك الأمر ولفظة (ما) تأتي لغير العاقل، وهي هنا عامة ويدخل تحتها العاقل لأن العبرة بالأغلب .

قال ابن القيم – رحمه الله – "والاستعاذة من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسياً كان أو جنياً أو هامة أو دابةً أو ريحاً أو صاعقة أي نوع من أنواع البلاء ... و(ما) فيها عموم تقييدي وصفي لا عموم إطلاقي . والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر فعمومها من هذا الوجه وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله . فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر، وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض، والخير كله حصل على أيديهم . فالاستعاذة من شر ما خلق تعُمَّ شر كل مخلوق فيه شر، وكل شر في الدنيا والآخرة، وشر شياطين الإنس والجن، وشر السباع والهوام، وشر النار والهواء وغير ذلك . أ .هـ . (٣١) ٥٥٦ .

قال الرازي – رحمه الله – : وفي تفسير هذه الآية وجوه :

أحدها: قال عطاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – يريد به إبليس خاصة لأن الله – تعالى – لم يخلق خلقاً هو شر منه ولأن السورة إنما نزلت في الاستعاذة من السحر، وذلك إنما يتم بإبليس وبأعوانه وجنوده .

ثانيها: يريد جهنم كأنه يقول قل أعوذ برب جهنم ومن شدائد ما خلق فيها .

ثالثها: يريد من شر أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرهما، ويجوز أن يدخل فيه من يؤذي من الجن والإنس أيضاً ووصف أفعالها بأنها شر.

رابعها: أراد به ما خلق من الأمراض والأسقام والقحط وأنواع المحن والآفات . أ . هـ . (٣٢) ج ٣٢ ص ١٧٧ ، (٣٣) ج ٢٠ ص ٢٥٦.

والراجح – والله تعالى أعلم – أن الآية عامة في كل مخلوق فيه شر ولا وجه لهذا التخصيص. وهذه الآية عامة ويدخل تحتها ما سيأتي من الشرور التي وردت في السورة .

ومن شر غاسق إذا وقب: هذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام وإلا فهو داخل تحت قوله تعالى (من شر ما خلق) لأن الغاسق إذا وقب هو من خلق الله . فهو إذن مندرج تحته . وذكر هذه الأمور مع اندراجها فيما سبق " تنبيهاً على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر" (٣٢) ج ٣٢ ص ١٩٥ ، (٣٣) ج ٣٠ ص ٢٨١ ، (٣٤) ج ٩ ص ٢١٤ .

ومن شر غاسق: قال صاحب اللسان – رحمه الله – : " غَسَقَ الليل : ظلمته ، وقيل أول ظلمته ، وقيل غَسَقُه إذا غاب الشفق . وقيل : الغاسقُ هذا الليل إذا دخل في كل شيء ، وقيل القمر . إذا دخل في ساهورِه ، وقيل إذا خسف .

قال ابن قتيبه : الغاسق القمر سمي به لأنه يكسف فيغسق أي يذهب ضوءُه ويسود ويظلم ... والغاسق البارد . أ .هـ (٦) ج ١٠ ص ٢٨٨-٢٨٩ .

قال أكثر المفسرين: إنه الليل وهو قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم (٩) ج٣٠ ص ٢٣٦ ، (١٦) ج ٤ ص ٩١٦ ، (٣٢) ج ٣٢ ص

١٧٨، (٣٥) ج ٢٠ ص ٢٥٦ (٣٦) ج ١٥ ص ٦٢٧ .

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (سورة الإسراء، ص٧٨).

كذلك قال الحسن ومجاهد – رحمهما الله – : الغاسق إذا وقب الليل إذا أقبل ودخل (وقب) الوُقُوبُ : الدخول في كل شيء، وقيل : كل ما غاب فقد وقب . وَوَقَبَ الظلام: أقبل ودخل على الناس، قال الجوهري – رحمه الله – : ومنه قوله تعالى (ومن شر غاسق إذا وقب) قال الحسن : إذا دخل على الناس. (٦) ج ١ ص ٨٠١ .

قوله (وقب) إذا دخل في كل شيء وأظلم وهو كلام الفراء (٣) ج ٨ ص ٧٤١ .

قال الزجاج – رحمه الله –: قيل الليل غاسق لأنه أبرد من النهار . والغاسق : البارد . والغَسَقَ : البرد. (٣٥) ج ٢٠ ص ٢٥٦ . وعليه حمل ابن عباس – رضي الله عنهما – قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ (سورة ص٥٧) وقوله: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة النبأ ٢٤- ٢٥) قال هو الزمهرير يحرقهم ببرده.

كما تحرقهم النار بحرها. وكذلك قال مجاهد ومقاتل : هو الذي انتهى برده . (٣١) ص ٥٥٨ " إذن الغاسق إذا وقب هو الليل إذا أظلم، وهو أحد قولي العلماء . أما القول الثاني فهو: القمر إذا كان في آخر الشهر . " (٣٧) ج ٩ ص ٦٣٦ .

ودليله ما أخرجه الترمذي من طريق أبي سلمة عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر فقال : " يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، قال : هذا الغاسق إذا وقب " قال الترمذي : حسن صحيح (٣٨) ج ٩ ص ٣٠٢، (١) ج ٦ ص ٨٤ ح ١٠١٣٨، (٣٩) ج ٦ ص ٦١.

قال ابن كثير – رحمه الله –: قال أصحاب القول الأول : وهو آية الليل إذا ولج هذا لا ينافي قولنا، لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه – والله أعلم – (١٦) ج ٤ ص ٥٧٣ .

وقال ابن القيم – رحمه الله –: النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب، وهذا خبر صدق، وهو أصدق الخبر، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب، وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره. (٣١) ص ٥٥٨ .

وقال صاحب الأضواء– رحمه الله–: والصحيح الأول : الذي هو الليل بشهادة القرآن، والثاني تابع له، لأن القمر في ظهوره واختفائه مرتبط بالليل فهو بعض ما يكون في الليل. (٣٧) ج ٩ ص ٧٣٧، **وأقول:** لا تعارض بين هذه الأقوال في تفسير الغاسق إذا وقب فالليل إذا دخل حل بظلامه وظهرت فيه

العلامات المميزة له وهو أنه أبرد من النهار، وظهرت آية الليل وهي القمر. فكلها تجتمع في وقت واحد فلا تعارض إذن.

ولا شك أن الليل إذا أظلم يكون محل انتشار الشياطين وتظهر فيه الشرور التي لم تكن وقت النهار ظاهرة.

روى البخاري بسنده عن عطاء أنه سمع جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – قال: قال رسوله الله صلى الله عليه وسلم " إذا كان جنح الليل – أو أمسيتم – فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم الحديث " (٣) ج ١٠ ص ٨٨ ح ٥٦٢٣ فهذا يدل على أن الليل محل الظلام وأنه وقت انتشار الشياطين، وبالنسبة للقول الثاني، فلا شك أن ظهور ضوء القمر يقلل الخطر المنتشر في الليل لأنه ينير الغسق فإذا ذهب ضوءُه، زاد الظلام فيكون خطره أكبر. " فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالاستعاذة من ذلك هو أمرٌ بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته والدليل مستلزم للمدلول. فإن كان شر القمر موجوداً، فشر الليل موجود " (٤٠) ج١٧ ص ٣٠٢.

"وتنكير (غاسق) في مقام الدعاء يراد به العموم لأن مقام الدعاء يناسب التعميم والمراد من تنكيره للجنس لأن المراد جنس الليل. (٣٦) ج ١٥ ص ٦٢٧. وإضافة الشر إلى غاسق من إضافة الاسم إلى زمانه على معنى (في) (٣٦) ج ١٥ ص ٦٢٧.

ومن شر النفاثات في العقد: النفاثات والنافثات بمعنى واحد. (٤١) ج ٢ ص ٤٨٣ قال ابن جرير: أي ومن شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها، وبه قال أهل التأويل (٩) ج ٣٠ ص ٣٥٣. قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك: يعني السواحر. قال مجاهد: إذا رقين ونفثن في العقد. (١٦) ح ٤ ص ٥٧٣ وهن اللاتي يعقدن الخيوط، وينفثن على كل عقدة، حتى ينعقد ما يردن من السحر. (٣١) ص ٥٦٣.

النفث: أقل من التفل. لأن التفل لا يكون إلا معه شيء من الريق، والنفث شبيه بالنفخ، وقيل هو التفل بعينه (٦) ج ٢ ص ١٩٥.

والتفل: تَفَلَ يَتْفُل ويَتْفِل تَفْلاً: بصق. والتفال: البصاق والزبد ونحوهما. والتفل بالفم لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، فإذا كان نفخاً بلا ريق فهو النفث، **وقال الجوهري – رحمه الله** –: التفل شبيه بالبزق وهو أقل منه. أوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ. والتفل ترك الطيب، رجل تفل أي غير متطيب، وامرأة تفله ومتفال الأخيرة على النسب (٦) ج ١١ ص ٧٧.

والنفخ: نفخ بفمه ينفخ نفخاً إذا أخرج منه الريح يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما (٦) ج ٣ ص ٦٢.

فالنفث إذن نفخ مع ريق بسيط وهو بين التفل والنفخ. وقد اختلف العلماء في النفث حيث قيل: هو

نفخ لطيف بلا ريق: وقيل: إن النفث معه ريق. واختلفوا في النفث والتفل، فقيل: هما بمعنى ولا يكونان إلا بريق، وقيل يختلقان قال أبو عبيد: يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث. وقيل: عكسه، قال: وسئلت عائشة عن نفث النبي صلى الله عليه وسلم في الرقية فقال: كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه. (٢) ج ٤ ص ١٨٢. فصفة التفل كأنك ألقيت نوى الزبيب من فيك حين تأكله (٤٢) ج ٤ ص٢٥٥.

والراجح – والله تعالى أعلم – أن النفث يكون بريق.

قال القاضي عياض – رحمه الله –: (فائدة النفث التبرك بتلك الرطوبة ..) (٣) ح ١٠ ص ٢٠٨.

العقد: مأخوذة من: عقد العَقْد نقيض الَحلْ، عَقَدَهَ تَعْقِده عَقْداً وتَعْقاداً وعَقَّد (٦) ج ٣ ص ٢٩٦ والمراد بذلك السحر:

والسحر لغة: عبارة عما خفي ولطُف سببه، ولهذا جاء في الحديث (إن من البيان لسحرا) (٣) ح ٥١٤٦، ٥٧٦٧ (رواه الترمذي رقم ٢٨٤٨ في الأدب باب ما جاء: إن من الشعر حكمه. و أبو داود رقم ٥٠١١ في الأدب باب ما جاء في الشعر. وقال الأرناؤوط في جامع الأصول: هو حديث صحيح)، وسمى السحر سحرا، لأنه يقع خفياً آخر الليل. (٤٣) ص ٣١٥.

قال ابن قدامه: السحر عزائم ورقى وعقد، تُؤثِّرُ في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ (سورة البقرة، ص١٠٢) وقال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ (سورة الفلق، ص٤) (٤٤) ج ٣ ص ١٦٤.

السحر

حكم تعلم السحر وتعليمه حرام بنصوص الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ (سورة البقرة ١٠٢).

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – ما له من نصيب. أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير والطستي في مسائله (٤٥) ج ١ ص ٢٥١.

قال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عُهد إليهم: أن الساحر لا خلاق له في الآخرة أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ح (١٧٠٥) وقال الحسن: ليس له دين (٤٦) ج١ ص ٥٤.

فدلت الآية على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ (سورة طه٦٩) (٤٣) ص ٣١٦ وقد نص أصحاب أحمد أنه يكفر بتعلمه وتعليمه (١٧) ج١٢ ص٣٠٠ وروى عبدالرزاق، عن صفوان بن سليم، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (من تعلم شيئاً من

السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله) (٤٦) ج ١٠ ص ١٨٤ (الحديث مرسل) .

واختلف الفقهاء : هل يكفر الساحر أولا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر . وبه قال مالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد . قال أصحابه : إلا أن يكون سحره بأدويه وتدخين وسقي شيء لا يضر ، فلا يكفر .

وقال الشافعي : إذا تعلم السحر . قلنا له صف سحرك فإن وصف ما يوجب الكفر – مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها .. فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر : فإن اعتقد إباحته كفر (٤٧) ج ٤ ص ١٥٢ ، (١٧) ج٨ ص ١٥٢ .

والله – عز وجل – قد سماه كفراً في قوله : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (سورة البقرة١٠٢) وقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا ﴾ (سورة البقرة : ١٠٢) .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في الآية الأولى (إنما نحن فتنة فلا تكفر) ذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان ، فعرفا أن السحر من الكفر (١٦) ج ١ ص ٢٥٢ .

والسحر : هو الجبت كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ (سورة النساء٥١) وقد فسره عمر – رضي الله عنه – حيث قال : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان . رواه ابن أبي حاتم وغيره وإسناده قوي . (٣) ج ١٨ ص ٢٥٢ .

وقد خصت النفاثات بالعقد بالاستعاذة من شرها ، لظهور ضررها وصعوبة الاحتراز منها . فينبغي الفزع إلى الله والاستنجاد بقدرته لدفع شر هؤلاء .

لمَ جعلت الاستعاذة من النفاثات لا من النفث فلم يقل : إذا نفثن في العقد ؟ وذلك للإشارة إلى أن نفثهن في العقد ليس بشيء يجلب ضراً بذاته وإنما يجلب الضر النافثات وهن متعاطيات السحر (٣٦) ج ١٥ ص ١٢٦ .

وقد عطف هذا النوع من الشر (النفاثات في العقد) على شر الليل (غاسق إذا وقب) لأن الليل وقت يتحين فيه السحرة إجراء شعوذتهم لئلا يطلع عليهم أحد (٣٦) ح ١٥ ص ٦٢٨ .

والنفاثات: من السواحر : أي ومن شر النفوس النفاثات أو النساء النفاثات (٣٠) ج ٥ ص ٥٢٠ . ولما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخل في وقوبها . لما فيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه ، ونحو ذلك . وما فيه من ضنى الأجسام وقتل النفوس عقب ذلك بقوله تعالى : (ومن شر) ولما كان كل ساحر شريراً بخلاف الغاسق والحاسد . وكان السحر أضر من الغسق والحسد من جهة أنه شر كله ، ومن جهة أنه أخفى من غيره ، وكان ما هو منه من النساء أعظم لأنه مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة ، وهن أعرق في كل من هذه الصفات وأرسخ ، وكان ما وجد منه من جمع

وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرّف وبالغ وجمع وأنث ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى (النفاثات) أي النفوس الساحرة سواءً كانت نفوس الرجال أو نفوس النساء أي التي تبالغ في النفث (٤٨) ج ٨ ص ٦٠٥-٦٠٦ .

إذن عُرِّفت النفاثات وجاءت على صيغة المبالغة وأتت جمع مؤنث ليعلم من ذلك عظم هذا النوع من الشر .

ومن شر حاسد إذا حسد: هذا هو نهاية الشرور التي ذكرتها السورة الكريمة، وخُتمت به، وهو شر الحاسد إذا حسد وحقق حسده .

قال القرطبي – رحمه الله – : وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيهاً على عِظَمه، وكثرة ضرره (٣٥) ج ٢٠ ص ٢٦٠ .

وقال النسفي – رحمه الله – : وختم بالحسد ليعلم أنه شرها (٤٩) ج ٤ ص ٤٣٠ . ولما كان أكبر حامل على السحر وغيره من أذى الناس هو الحسد قرنه الله – عز وجل – به .

قال صاحب الأضواء – رحمه الله –: واقتران الحسد بالسحر هنا، يشير إلى وجود علاقة بين كل من السحر والحسد، وأقل ما يكون هو التأثير الخفي الذي يكون من الساحر بالسحر، ومن الحاسد بالحسد مع الاشتراك في عموم الضرر، فكلاهما إيقاع ضرر في خفاء وكلاهما منهي عنه (٣٧) ج ٩ ص ٦٤٠ .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : ذكر شر الساحر والحاسد، وهما نوعان، لأنهما من شر النفس الشريرة، **وأحدهما:** يستعين بالشيطان ويعبده، وهو الساحر. وقلّما يتأتي السحر بدون نوع عبادة للشيطان، وتقرب إليه ... **والنوع الثاني :** من يعينه الشيطان، وإن لم يستعن هو به، وهو الحاسد لأنه نائبه وخليفته، لأن كليهما عدونعم الله، ومنغصها على عباده (٣١) ص ٥٨٢ .

إذن الساحر والحاسد بينهما علاقة وهي اشتراكهما في الخفاء وعموم الضرر وهما من الأمور المنهي عنها، ومن كبائر الذنوب . فلا غرو إذن باقترانهما مع بعضها في السورة الكريمة والله – تعالى – أعلم .

معنى الحسد من الناحية اللغوية : حَسَدَه يَحْسِده ويَحْسُدُه حَسَداً وحَسَّد .

قال الأخفش – رحمه الله – : المصدر حسَداً بالتحريك، وحَسادَة . وتحاسد القوم، ورجل حاسد من قوم حُسَّدٍ وحُسَّادٍ وحَسَدَة مثل حامل وحَمَلة، وحسود من قوم حُسُدٍ والأنثى بغير هاء ... وحكى الأزهري عن ابن الأعرابي : الحَسَّدَل القراد، ومنه أخذ الحسد يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه . وقال الحسد ل القراد واللام زائدة . وأصل الحسد القشر ..

قال الأزهري – رحمه الله – : الغبط ضرب من الحسد وهو أخف منه ألا ترى أن النبي – صلى الله عليه

وسلم – لما سئل : هل يضر الغبْط ؟ فقال: " نعم كما يضر الخَبْط فأخبر أنه ضار وليس كضرر الحسد (الحديث رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم (٥٠) ج ٥ ص ٩٧ . قال ابن الإعرابي : حسده على الشيء وحسده إياه (٦) ج ٣ ص ١٤٨- ١٤٩ ، (٥١) ج٢ ص ٣٣٦ ، (٥٢) ص ١٣٥ ، (٥٣) ج ١ ص ٢٩٨ .

تعريف الحسد من الناحية الاصطلاحية :

تمني زوال نعمة الله عن أخيك المسلم، سواءً تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أولا ، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (سورة النساء٥٤) (٣٥) ج ١ ص ٧١ . فالحسد تمنى استصحاب عدم النعمة ودوام ما في الغير من نقص أو فقر . (٣٣) ج ٣٠ ص ٣٩٤ .

وهو شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل ... وغايته أن يعدمهم فضلهم من غير أن يصير الفضل له (٥٤) ص ٢٣٢ .

مما سبق من التعريف يتبين لنا العلاقة بين المسمى المعنوي للحسد والمسمى الحسي لأصل تلك الكلمة التي هي الحسدل حيث إن الحسدل (القراد) يلتصق بجسم الحيوان ويمتص دمه ولا يفارقه . كذلك الحسد فهو ملازم لصاحبة ويعيش في هم دائم لتمنيه زوال نعمة غيره .

أقسام الحسد

قال ابن رجب – رحمه الله – : في هذا ينقسم الناس إلى أقسام :

فمنهم : من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل .

ومنهم : من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه .

ومنهم : من يسعى في إزالة نعمته عن المسحود فقط من غير نقل إلى نفسه وهو شرها وأخبثها . وهذا الحسد المذموم المنهي عنه (٥٥) ج ٣ ص ٦٨ .

فأقسام الحسد إذن :

القسم الأول : أن يحب زوال النعمة وإن كان ذلك لا ينتقل إليه .

القسم الثاني : أن لا يشتهي النعمة نفسها، بل يشتهي مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهرا لتفاوت بينهما .

القسم الثالث : أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة وهو يحب أن تكون له ومطلوبة تلك النعمة لا زوالها عنه .

القسم الرابع : أن يشتهي مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه، وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين (٥٥) ج ٣ ص ٨٨ .

مما سبق من أقسام الحسد يتبين لنا أنه نوعان :

١- **الحسد المذموم** : وهو تمنى زوال نعمة الغير .

٢- **الحسد المحمود** : وهو ما يسمى بالغبطة أو المنافسة .

وتعريفه : قال ابن تيمة – رحمه الله – : والتحقيق أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحمود وهو نوعان : **أحدهما** : كراهيته للنعمة عليه ومطلقاً فهذا هو الحسد المذموم . **والثاني** : أن يكره فضل ذلك لشخص عليه فيحب أن يكون مثله، أو أفضل منه فهذا حسد، وهو الذي سموه الغبطة، وقد سماه النبي – صلى الله عليه وسلم – حسداً . (٥٦) ج ١٠ ص ١١١ .

وقال ابن القيم حسد الغبطة : هو تمنى أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به، ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة (٥٧) ج ٢ ص ٢٣٧ .

والمنافسة : أصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلباً ورغبة (٥٨) ص ٣٣٩ . وهي المبادرة إلى الكمال تشاهده في غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه (٥٩) ج ٨ ص ٣٣٨ .

" والتنافس ليس مذموماً مطلقاً بل هو محمود في الخير قال تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة المطففين ٢٣-٢٦) فأمر المنافس أن ينافس في هذا النعيم ولا ينافس في نعيم الدنيا الزائل، وهذا موافق لحديث النبي – صلى الله عليه وسلم – : (لا حسد إلا في اثنتين ... الحديث) رواه البخاري (٣) ج٩ ص ٧٣ ح ٥٠٢٥، (٢) ج ٦ ص ٩٧ ح ٨١٦) فإنه نهى عن الحسد إلا فيمن أوتي العلم فهو يعمل به ويعلمه، ومن أوتي المال فهو ينفقه " (٥٦) ج ١٠ ص ١١٤، (٦٠) ص ١٣٦ – ١٣٧ .

إذا حسد: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، فيتبع مساوءه ويطلب عثراته (٣٥) ج ٢٠ ص ٢٥٩ .

وتقييد الاستعاذة من شره بوقت (إذا حسد) لأنه حينئذ يندفع إلى عمل الشر بالمحسود حين يجيش الحسد في نفسه فتتحرك له الحيل والنوايا لإلحاق الضرّ به . (٣٦) ج ١٥ ص ٦٣٠ . أما إذا لم يظهر الحسد فإنه لا يتأذى به إلا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره .

ولقائل أن يقول لم عُرفّ بعض المستعاذ ونكر البعض ؟

فيجاب على ذلك: التعريف كان للنفاثات وذلك لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق : لأن كل غاسق لا يكون فيه شر إنما يكون في بعض دون بعض، كذلك كل حاسد لا يضر، ورب حسد محمود وهو – كما سلف – الحسد في الخيرات .

وأعيدت كلمة (من شر) بعد حرف العطف في ثلاث جمل مع أن حرف العطف مغن عن إعادة العامل ؛ قصداً لتأكيد الدعاء تعرضاً للإجابة، وهذا من الابتهال فيناسبه الإطناب . (٣٦) ج ١٥ ص ٦٢٧ . فالإعادة لتأكيد الاستعاذة من هذه الشرور المذكورة في السورة .

وبعد استعراض هذه السورة الكريمة سورة الفلق يتبين أن مجمل ما جاء فيها هو الاستعاذة من شر المخلوقات عموماً، ولهذا قيل فيها برب الفلق . فإن فالق الإصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من الشر، وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات، فإن فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات، وكذلك الحسد هو من ضيق الإنسان وشحه لا ينشرح صدره لإنعام الله عليه، قرب الفلق يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه، وهو سبحانة لا يفلق شيئاً إلا بخير. (٦١) ج ٦ ص ٤٩٨ .

الخاتمة

من البحث تبينت النتائج التالية :

١- فضل هذه السورة الكريمة .

٢- أنها حصن ينبغي على المسلم أن يتحصن بها .

٣- إرشاد الله – عز وجل – رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الاستعاذة من شر كل مخلوق عموماً.

٤- ذكر بعض أنواع الشرور على الخصوص مع اندراجها تحت العموم، للتنبيه على زيادة شرها وضررها . " فكأن هؤلاء لما فيهم من الشر حقيقون بإفراد كل واحد منهم بالذكر " (٣٠) ج ٥ ص ٥٢١ .

٥- ليس كل ما خلق الله هو شراً . بل إن الشر قائم ببعض المخلوقات .

٦- الليل إذا حل بظلمته ليس كله شراً بل هو سكن ومحل للراحة قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (سورة يونس: ٦٧).

٧- بيان السحر وحقيقته، وأن كل نفاثة في العقد من الأنفس السواحر الشريرة فينبغي التعوذ منها .

٨- اقتران الحسد بالسحر قبله لبيان عظم شر الحسد ووجود علاقة بينهما وهي الاشتراك في عموم الضرر، مع التأثير الخفي لكل منهما على المسحور والمحسود .

٩- ختمت السورة بالحسد لعظم شره وكثرة ضرره .

١٠- عناية القرآن بالإنسان جسداً وروحاً، وإرشاده إلى الشيء الذي يدفع به الأسقام والشرور .

١١- اختلاف النفوس البشرية في طبائعها ما بين طيبة وخبيثة .

١٢- إن ابتلاء بعض الناس بالحسد راجع إلى ضعف إيمانه .

١٣- ينبغي إخلاص النية وتطهير النفس من أسباب الغل والحسد لأنه من طباع اليهود .

١٤- اللجوء إلى التداوي بالقرآن حال الإصابة بأمراض جسدية أو نفسية لأنه شفاء كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء: ص ٨٢) .

١٥- شفاء النبي صلى الله عليه وسلم من السحر بإذن الله – عز وجل – بسورتي المعوذتين .

وبعد فهذا جهد المقل فإن أصبت فبفضل الله ومنه وكرمه . وإن أخطأت فمن تقصيري أسأل الله العفو والمغفرة، وأسأله أن يجعل هذا العمل صالحاً خالصاً لوجهه ليس لأحد فيه شيء والحمد لله رب العالمين .

المراجع

النسائي، الإمام أبي عبدالرحمن أحمد شيب. السنن الكبرى، ط١. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١١هـ.

النووي، يحيى بن شرف. صحيح مسلم بشرح النووي ط ١ .المطبعة المصرية، مصر، ط ٢، دار الفكر بيروت ١٣٤٧هـ..

صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري .

العسقلاني، ابن حجر. صحيح البخاري، للإمام البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا .فتح الباري بشرح صحيح البخاري .نشر وتوزيع إدارات البحوث والإفتاء، المملكة العربية السعودية .

عطار، عبدالغفور. ت، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري. ط ٣. دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ .

النجار، عبدالحليم. ت، تهذيب اللغة. لأبي منصور بن أحمد الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

ابن منظور، لسان العرب ط ٣، دار صارد، بيروت ١٤١٤هـ.

البخاري، أبي عبدالله بن إسماعيل، صحيح البخاري بحاشية السندي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية .

عرفة، أبي عبدالله محمد. تفسير ابن عرفه، مكتبة الحرم المكي الشريف (مخطوط رقم الفلم (٢٨١٢). ورقم المخطوط (٤٥٠).

شاكر، محمود محمد. ت، جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الحلبية، ط ٢ .

أبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، ط ٢، دار الفكر بيروت .

الموصلي، المعافى بن إسماعيل بن الحسين. نهاية البيان في تفسير القرآن الكريم . المكتبة العلمية الصالحية بعنيزة، القصيم .

الندوي، سيد رضوان علي، ت، فوائد في مشكل القرآن، عز الدين بن عبدالسلام، ، ط ٢، ١٤٠٢هـ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة .

حامد، عبدالعلي عبدالحميد. مراجعة تفسير المعوذتين، ابن تيمية وابن القيم، ط ٢، ١٤٠٨هـ، الدار السلفية، بومباي – الهند .

آل الشيخ. تيسير العزيز الحميد.

ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العربي، لبنان.

ابن كثير، العظيم، لمكتبة التجارية الكبرى، مصر.

ابن قدامة، محمد عبدالله بن أحمد، المغني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ.

الكاساني، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت.

السرخسي، شمس الدين، المبسوط، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح.

سحنون، الإمام مالك. المدونة الكبرى، للإمام مالك، دار الفكر، بيروت.

عبدالحميد، مجد الدين. ت، سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان الأشعث السجستاني الأزدي، ط ١. المكتبة العربية، دار الحديث، بيروت، لبنان ١٣٨٨هـ.

الألباني، إرواء الغليل الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ.

عبدالحميد، مجد الدين. صحيح سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، المكتبة العربية، الطبعة الأولى، دار الحديث، بيرون. لبنان، ١٣٨٨هـ.

الشوكاني، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، ط ١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

المقدسي، ابن قدامة، المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل، ط ٢، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر.

النووي، أبي زكريا، المجموع وشرح المهذب، دار الفكر.

آل سعود، محمد بن سعد، ت، أعلام المحدثين في شرح صحيح البخاري، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، مركز إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة ١٤١١هـ.

اللويحق، عبدالرحمن، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى. ١٤٢٢هـ.

الشوكاني، فتح القدير، دار عالم الكتب.

الندوي، جمعة محمد إبريس، التفسير القيم، لابن القيم، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرازي، الفخر. التفيسر الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

البغدادي، أبي الفضل محمد الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، ودار التراث، القاهرة.

العمادي: عبدالله محمد الأنصاري، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

القرطبي، أبي عبدالله محمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن.

عاشور، محمد الظاهر. التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.

الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن

بالقرآن، دار الفكر، ١٤٠٠.

تحفة الأحوذي، مطبعة الصاوي. ١٣٥٣.

مسند الإمام أحمد، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وطبعة المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت. ط٢، ١٤١٤هـ.

القاسمي، محمد جمال الدين. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

العكبري، أبي البقاء، التبيان في إعراب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

الأندلسي، أبي جمرة. بهجة النفوس.

عبدالوهاب، عبدالرحمن بن حسن بن محمد. فتح المجيد، دار السلام. ط ١، ١٤١٣هـ.

المقدسي، ابن قدامة. الكافي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

السيوطي، أبي بكر جلال الدين. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت.

االصنعاني، أبي بكر عبدالرزاق. المصنف للحافظ الكبير، تحقيق وتخريج الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

القرافي، كتاب الفرق.

نظم الدرر في التناسب بين الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

العك، عبدالرحمن، ومروان سوار. معالم. ت، التنزيل. لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ط ١، ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت.

الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.٣، ١٤٠٢هـ.

تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الفكر، لبنان، ١٤٠١هـ.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

الماوردي، أدب الدنيا والدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

الحنبلي، ابن رجب. جامع العلوم والحكم، منشورات المؤسسة السعيدية، الرياض.

ابن قاسم، عبدالرحمن بن محمد. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب، طبعة دار الإفتاء بالرياض.

ابن القيم، الفوائد، دار الفكر.

ابن القيم، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

البيضاوي، علي. حاشية الشهاب، دار صادر، بيروت.

ابن تيمية. التحفة العراقية في الأعمال القلبية، دار إحياء التراث العربي ط٣.

ابن تيمية. دقائق التفسير.

Interpretation of Surat AL-Falag (Day Break)

Luluah AbdulKareem AL-Mufleh
Assistant Professor of Qur'anic Exegesis and Sciences
Girls Education College – Literary Division
Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

(Received 1/3/1428H; accepted for publication 4/4/1428H.)

Abstract. The present study aims at presenting an analytical interpretation of the Surah AL-Falaq (Day Break). The Surah has a great importance, and it's virtues have been documented in the Prophet's traditions.
The Surah has a healing power against maladies according to many authentic sayings of the Prophet. Moreover, it is part of the supplications recited after every prayer. Therefore, it is an amulet against every evil or mischief. After all it has a healing power against magic, The Prophet (peace and blessing be upon him) used it with Surah An-Nas to heal himself from the effect of magic.
In this Surah, Allah orders us to seek refuge with Him against the mischief of all creatures. He then orders us to seek refuge with Him against certain mischief like the mischief of darkness when it overspreads, the mischief of the people who practice secret arts and the mischief of the envious people.
To conclude, the Holy Qur'an is a healing against all physical and psychological maladies as stated in the Holy Qur'an itself.